التخلف . وليسوا شخصيات بلا جذور تحارب طواحين الهواء . ولكنهم بشر حقيقيون يواجهون مشاكل حقيقية . ويستطيعون التفكير لانفسهم . وليسوا مجرد كتلة صماء لا تحس ولا تشعر . ولكنهم شخصيات من لحم ودم . لهم ذواتهم المتميزة . يحبون ويشتاقون . ويتطلعون ويحلمون ويصارعون فيهزمون وينتصرون . ويبقى الفارق الاساسي بين رؤية الشرقاوي للقرية ورؤية من سبقوه متمثلا في ان قرية الشرقاوي تحاول ان تكون ذاتها وان تتحرك حركتها الذاتية والمستقلة . وان قرية من سبقوه خامدة وميتة . اذا تحركت فهي تتحرك رغم ارادتها في اتجاه مشكلة المؤلف أو تصوره الفكري المفروض والمسبق .. »(١٨)

المنهج البنيوي :

تعني البنيوية لغة البناء او الطريقة التي يقام بها مبنى ما . واصطلاحاً تطلق على منهج فكري يقوم على البحث عن العلاقات التي تعطي للعناصر المتحدة قيمة وضعها في مجموع منتظم . مما يجعل من الممكن ادراك هذه المجموعات في اوضاعها الدالة .

وما يهمنا هنا مايتعلق بالنقد . يُعد النقد البنيوي اساساً تياراً نقدياً ضمن تيارات نقدية عديدة . تنظر الى النص الادبي كياناً لغوياً قائماً بذاته . ومن ثم ينصب اهتمامها على تحليل النص من حيث الفاظه وجمله وتراكيبه ومجازاته وصوره الشعرية .

إن النقد البنيوي يتمركز حول النص ويعزله عن كل شيء . المؤلف والمجتمع والظروف التي نشأ فيها . ويرى ان الواقع الوحيد الذي يقوم عليه الادب لايخرج عن الخطاب او اللغة . من هنا تنصب عنايته على طبيعة الخطاب وادواته والعلاقات التي تربط بين هذه الادوات . فالعمل الادبي كله دال . « واذا كانت اللغة هي المادة الاولية التي يستخدمها الكتاب . فان النقد الادبي الذي ينحو الى تكوين لون من المعرفة عن هذه الاعمال اللغوية . من حقه ـ بل من واجبه ـ ان يرتكز على مقولات علم اللغة . وان يطلب منه اساساً الاجابة عن السؤال التالي : ماهي اللغة ؟

---

(١٨) الروائي والارض ، ص ١١٧ ـ ١١٨ .

اذ تتوقف عليه الاجابة عن سؤال اخر هو : كيف صنع هذا العمل ؟ اي ان العمل النقدي يرتبط مباشرة بالعمل اللغوي ولا يرتبط بالميدان الاخر الذي يحدده سؤال ماهو الادب ؟ »(١٩)

وجوهر النقد البنيوي هو التحليل وليس التقويم . اذ ليس من اهداف هذا النقد ان يصف عملاً بالجودة وآخر بالرداءة . وانما هدفه الاساس ابراز كيفية تركيب العمل الادبي والمعاني التي تكتسبها عناصره عندما تتألف على هذا النحو . فالشكل الادبي عند البنيويين تجربة تبدأ بالنص وتنتهي معه . وكلما مضينا في القراءة التحليلية تكشفت لنا ابنية العمل الادبي .(٢٠)

يرفض البنيويون جملة من المفاهيم الشائعة في الساحة النقدية . لعل أهمها مفهوم « المؤلف الادبي » نظراً لما يشير اليه هذا المفهوم من معنى توحيد النصوص وصهرها في قالب واحد يقوم على التكامل والشمول ونظراً لارتباط هذا المفهوم بشخصية الكاتب بما يفترضه من علاقة مباشرة بين الانسان والعمل الادبي . كما يرفض هؤلاء النقاد فكرة التسجيل الواقعي التي تفترض اسبقية الموضوع على وجوده الكتابي . وما يترتب على هذه الفكرة من صفات الصدق والاخلاص والامانة التي تنسب عادة الى الكاتب الجيد . وفي الوقت نفسه ينبذ البنيويون مبادىء الالهام والخلق الادبي ورسالة الكاتب او العمل الفني . اذ يرون ان الايمان بهذه المبادىء يؤدي في النهاية الى الغاء النص والقضاء على وجوده . (٢١)

والنقد البنيوي يعدّ العمل الادبي كلا مكونا من عناصر مختلفة متكاملة فيما بينها على أساس مستويات متعددة تمضي في كلا الاتجاهين الافقي والرأسي في نظام متعدد الجوانب . متكامل الوظائف في النطاق الكلي الشامل . ويقترح بعض البنيويين ترتيب هذه المستويات على النحو الاتي :

١ ـ المستوى الصوتي حيث تدرس فيه الحروف ورمزيتها وتكويناتها الموسيقية من نبر وتنغيم وايقاع .

٢ ـ المستوى الصرفي وتدرس فيه الوحدات الصرفية ووظيفتها في التكوين اللغوي والادبي خاصة .

---

(١٩) صلاح فضل ، نظرية البنائية في النقد الادبي ، ص ٣٣٠ .

(٢٠) المرجع نفسه ، ص ٣٣٣ .

(٢١) محمد علي الكردي ، النقد البنيوي بين الايديولوجيا والنظرية . مجلة فصول ، عدد ١ ـ ١٩٨٣ ، ص ١٤٦ .

٣ ـ المستوى المعجمي وتدرس فيه الكلمات لمعرفة خصائصها الحسية والتجريدية والحيوية والمستوى الاسلوبي لها .
٤ ـ المستوى النحوي لدراسة تأليف وتركيب الجمل وطرق تكوينها وخصائصها الدلالية والجمالية .
٥ ـ مستوى القول لتحليل تراكيب الجمل الكبرى لمعرفة خصائصها الاساسية والثانوية .
٦ ـ المستوى الدلالي الذي يشغل بتحليل المعاني المباشرة وغير المباشرة والصور المتصلة بالانظمة الخارجة عن حدود اللغة التي ترتبط بعلوم النفس والاجتماع . وتمارس وظيفتها على درجات في الادب والشعر .
٧ ـ المستوى الرمزي الذي تقوم فيه المستويات السابقة بدور الدال الجديد الذي ينتج مدلولا ادبياً جديداً يقود بدوره الى المعنى الثاني او مايسمى باللغة داخل اللغة .(٢٢)

يرى النقاد والباحثون ان لهذا المنهج ايجابيات وسلبيات . أما الايجابيات فتتلخص في المتطلبات الصارمة التي يفرضها على قارىء الادب . اذ انه من الصعب ـ مثلاً ـ على قارىء الرواية الجديدة ان يكون مجرد هاوٍ للمتعة والتسلية ، او ان يكون غير ملم بقواعد اللغة وفنون القول المختلفة. لكن هذا المطلب ، في الوقت نفسه ، يحد من انتشار الادب بسبب صعوبة العثور على عدد كبير من القراء يتحلى بهذا المستوى الممتاز الامر الذي يخلق نوعاً من « الارستقراطية » الادبية المحدودة . ومن ايجابياته ايضاً الروح النقدية العالية التي يتطلبها من القارىء ، اذ يتطلب منه يقظة عالية وتغييراً جذرياً في عاداته المتلقية (الاستهلاكية) السلبية بحيث يشارك مشاركة ايجابية وفعالة في تصور امكانات النص وتوقع الحلول المختلفة للقضايا الفنية او الشكلية المعروضة . لهذا يقول احد النقاد البنيويين العرب « ليست البنيوية فلسفة ، لكنها طريقة في الرؤية ومنهج في معاينة الوجود . ولانها كذلك فهي تثوير جذري للفكر وعلاقته بالعالم وموقعه منه وبازائه . في اللغة لاتغير البنيوية اللغة ، وفي المجتمع لاتغير البنيوية المجتمع ، وفي الشعر لا تغير البنيوية الشعر . لكنها بصرامتها واصرارها على الاكتناه المتعمق والادراك متعدد الابعاد ، والغوص على المكونات ، تغير الفكر المعاين للغة والمجتمع والشعر .

---

٢٢) صلاح فضل ، نظرية البنائية في النقد الادبي ، ص ٣٢١ ـ ٣٢٢ .

وتحوله الى فكر متسائل ، قلق ، متوثب ، مكتنة ، متقص، فكر جدلي شمولي في رهافة الفكر الخالق وعلى مستواه من اكتمال التصور والابداع . »(٢٣)

وأما سلبيات المنهج البنيوي فاهمها التجاوز المتعمد لعالم القيم الذي ينشأ فيه الكاتب ويتأثر به ، مهما حاول التجرد منه او الترفع عليه في انتاجه الادبي . لان اللغة نفسها مجموعة من الرموز الاجتماعية واداة للتخاطب والتواصل . كما ان تجاهل عالم القيم يقضي على النقد البنيوي باستبعاد كل المضامين الاخلاقية والجمالية التي لايمكن ان يخلو منها اي عمل فني من المستوى الرفيع .(٢٤)

من اعلام المنهج البنيوي في الغرب ، رولان بارت ونور ثروب فراي . وفي النقد العربي عبد السلام المسدي وكمال ابو ديب .

واليك انموذجا من النقد البنيوي ، نقد قصيدة (صبوح) لابي نواس كتبه كمال ابو ديب في كتابه (جدلية الخفاء والتجلي) تجده في المختارات .

---

(٢٣) كمال ابو ديب ، جدلية الخفاء والتجلي ، ص ٧ .

(٢٨) محمد علي الكردي ، النقد البنيوي بين الايديولوجيا والنظرية ، ص ١٥٠